آثار قصر الشمع

في مصر القديمة

اذا ركب احد قطار السكة الحديد من باب اللوق الى حلوان رأى على يساره عند محطة ماري جرجس ابراجاً عظيمة مستديرة الشكل وآكاماً عالية امام بعضها حتى تساوت بارتفاعها تقريباً . هذه الابراج بقايا ابراج اخرى كانت في حصن كبير بناه الرومان على شاطئ النيل ايام حكمهم في مصر وسمّوه حصن بابيلون نسبة الى مدينة بابيلون التي بنوها في الفضاء الى جنوب ذلك الحصن وهو المكان الذي عرف في زمن العرب بالشرف مقابل ساحل إثر النبي الآن

اما مدينة بابيلون هذه فبناها الرومان بحجارة معابد منف المصرية القديمة لانهم بعد اعتناقهم الديانة المسيحية كرهوا رؤية هذه المعابد فاخذوا يهدمونها ويكسرون تماثيلها وينقلون حجارتها الى حيث شاءوا ولم يتركوا منها في مدينة منف الا القليل كالبيت الاخضر الذي وصفهُ عبد اللطيف البغدادي الرحالة في رحلتهِ المشهورة الى مصر . ومما ساعدهم ايضاً على اهمال مدينة منف جعل الاسكندرية عاصمة ثانية للديار المصرية

فلما تمّ الرومان بناء مدينة بابيلون ارادوا ان يجعلوا لها حصناً لدفع غارة المغيرين عليها فوجدوا خير مكان لذلك المكان الذي فيهِ قصر الشمع فاقاموا الحصن عليهِ واستعملوا في بناء مدينة بابيلون والحصن عدا حجارة معابد منف الطوب الاخضر والآجر على جاري عادتهم في بناء المدن التي لم تزل آثار بعضها باقية الى الآن في الوجه البحري واقليم الفيوم

وكانوا يأخذون الطين اللازم لعمل هذا الطوب من الاراضي التي في جنوبها حيث ما يسمى بالبساتين الآن وبذلك انحط منسوب تلك الارض عن مستوى ما حولها من الاراضي فرشح اليها الماء وصارت بركة عرفت ببركة الحبش ولها تاريخ طويل لا محلّ لذكره هنا

اما قصر الشمع فكان معبداً للنار في مكان حصن بابيلون المذكور بناهُ الفرس ايام حكمهم في مصر وكان يشرف على مدينة منف فاذا انتقلت الشمس من برج الى برج في كل شهر أوقد خدمة ذلك القصر الشموع على سطحهِ اعلاناً بالشهر الجديد وكان اهل منف وما حولها يترقبون ايقاد الشمع لدفع المرتبات وترتيب انظمتهم الزراعية ومواسمهم الدينية وغيرها كما يرقب المسلمون الهلال

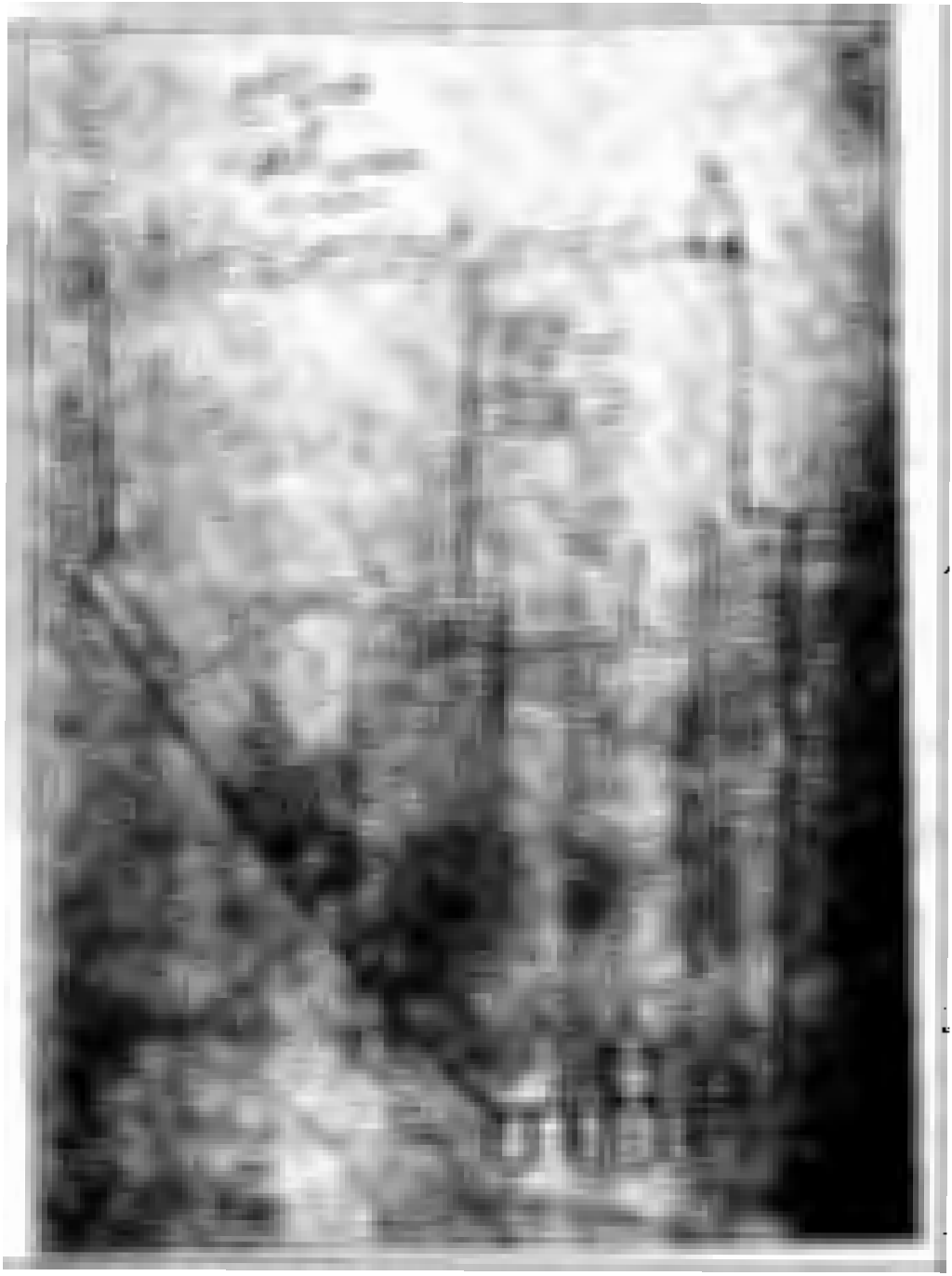

قصر الشمع او حصن بابيلون كما رممت آثاره منذ ٢٥ سنة

مقتطف فبراير ١٩٢٦

امام الصفحة ١٥٤

قصر الشمع الآن وما يجاوره كما رسمت حديثاً

مقتطف فبراير ١٩٢٦

امام الصفحة ١٥٥

وكان في القصر برج فيه هيكل للنار فوقهُ قبة يقال لها قبة الدخان لم يمسها الرومان بسوء بل بقيت الى ما بعد الفتح الاسلامي فاتخذها العرب مسجداً سموهُ مسجد الدخان نسبة الى اسمها الاصلي. وكان الفرع الاكبر من النيل في ذلك العهد هو الواقع بين حصن بابيلون وجزيرة الروضة وكان عليهِ جسر بين الجزيرة والحصن

ومن يتأمل في الاجزاء الباقية من بناء هذا الحصن يرى على كثير من حجارتها نقوشاً هيروغليفية والحجارة موضوعة على غير انتظام مما يدل على انها مجلوبة من اماكن مصرية قديمة ثم استعملت في بناء الحصن كما تقدم

وكان لهذا الحصن اسوار من الآجر والحجر كاسوار مدينة بابيلون وهو ما جعل كثيرين من المؤرخين يخلطون بين اسمهِ وبين مدينة بابيلون

ولما دخل العرب مصر عن طريق رفح فالعريش فالفرما فبلبيس فقرية ام دنين (باب الحديد الآن) تحصن الرومان الذين انهزموا امامهم مع من والاهم من القبط في حصن بابيلون فحصرهُ العرب سبعة اشهر فلم يقووا على فتحهِ وكانت الميرة تأتي الى حامية الحصن عن طريق النيل وتدخل من ابوابهِ المشرفة عليهِ ومنها الباب الذي مكانهُ الآن في الطريق الموصل الى كنيسة يوسرج من جهة شارع ماري جرجس . ولولا صبر العرب وقوة ايمانهم وثقتهم بالنصر لوهنت عزائمهم امام هذا الحصن المنيع وافلوا راجعين . واخيراً قر رأيهم على تسلق الحصن ليلاً فتسلقوهُ وهربت حاميتهُ من بابهِ الجنوبي الى جزيرة الروضة عابرين من فوق الجسر الذي كان بين الحصن والجزيرة ثم كسروا الجسر حتى لا تتبعهم العرب

دخل العرب الحصن وتسلموهُ ثم وقفهُ سيدنا عمرو ولم يقسمهُ مع ما قسم من الغنائم الاخرى

وفي اوائل حكم الدولة العباسية جعل الوالي على مصر جميع دواوين الحكومة ومصالحها في هذا الحصن ثم انحسر ماء النيل عنهُ تدريجاً الى جهة الغرب وتخلفت الاراضي التي بينهُ وبين النيل الآن . وعلى مضي السنين والاعوام خرب هذا الحصن وتم خرابهُ بعد حرق الفسطاط في آخر ايام الدولة الفاطمية واعتدى الناس على ما تخلف من انقاضهِ فاستعملوهُ في مبانيهم وقد شوهد بعضها في آثار مباني الفسطاط وفي جدران المباني القديمة بمدينة القاهرة ايضاً ولم يبقَ منهُ الاَّ ثلاثة ابراج و بعض اجزاء من سورهِ الغربي عثرت عليها لجنة حفظ الآثار العربية كما عثرت ايضاً على زاويتهِ الغربية الجنوبية الى الجنوب من جامع سيدنا عمرو

وكان الحصن ينتهي من الجنوب الى الباب الذي يقال ان المقوقس فرَّ منهُ هو وامراؤهُ ومن الشمال الى قرب مسجد سيدنا عمرو ومن الغرب الى النيل حيث شارع ماري جرجس الآن ومن الشرق الى حيث كنيسة السيدة بربارة وقد علت ارض الطرق الموصلة اليهِ عن مستواه الاصلي نحو ثمانية امتار تقريباً وهو ما دعا الى عمل السلم الموصل الى بابهِ الجنوبي المذكور

وقد اشتمل الحصن بالكنائس والاديرة الموجودة فيهِ الآن وهي الكنيسة المعلقة وكنيسة بوسرج وبها مغارة قديمة وكنيسة ماري جرجس للروم الارثوذكس وكنيس بني عذرة للاسرائيليين وكنيسة السيدة بربارة وكنيسة العذراء وكنيسة ماري جرجس للاقباط وكلها حادثة بعد الفتح الاسلامي

والذي ينعم النظر في حالة الحصن الحاضرة وما بقي منهُ بعد تخريبهِ يرى ان الاجزاء الباقية منهُ الآن تقع في جهتهِ الغربية حيث كانت تكنات الجند قديماً وذلك لقربها من النيل واما الميادين والحيشان التي كانت داخل الحصن على مثال ميادين قصر النيل وتكناتهِ الآن فكانت شمال الحصن وشرقيهُ وهي التي اتخذها الاقباط الارثوذكس — والارمن والارثوذكس والكاثوليك مدافن لموتاهم الى الآن

اما البرج الذي الى جنوب الحصن والباب الذي فيهِ والبدنتان اللتان على جانبيهِ فيترل اليها الآن بسلم حديثة كثيرة الدرجات في فناء الكنيسة المعلقة ويقال لهذا البرج برج المقوقس وعليهِ كنيستان احداهما تعرف بكنيسة ماري مرقس والثانية بكنيسة تكلا هيكانوت الحبشي ولا يمكن الصعود اليهما لتخرب سلمها وترى على بعض احجار هذا البرج نقوشاً هيروغليفية قديمة دلالة على انها مجلوبة من معابد مصرية قديمة وهذا مما يؤيد القول بانها مأخوذة من مدينة منف كما تقدم

اما الباب ويقال لهُ باب قلعة المقوقس فشكلهُ روماني وبعلوهُ عقد مقنطر وعتبتهُ ليست من قطعة واحدة وخلف هذا الباب دهليز يقع هو وما يتبعهُ من المباني في عرض الباب وعرض البدنتين المذكورتين ويزيد . وفي وسط الدهليز اعمدة مربعة الشكل من عدة قطع من الحجر يعلو بعضها اعمدة من الرخام وفوقها اعمدة اخرى من الرخام ايضاً هي اعمدة الكنيسة المعلقة المشيدة فوق سقف ذلك الدهليز مع ملحقاتها ولذلك سميت المعلقة

وهي مبنية على الطراز العربي من حيث ما فيها من فسيفساء الرخام والخشب المخرط والمعشق والمطعم بالعاج والابنوس ولها ثلاثة ابهجة اثنان نحو اليسار والثالث جهة اليمين

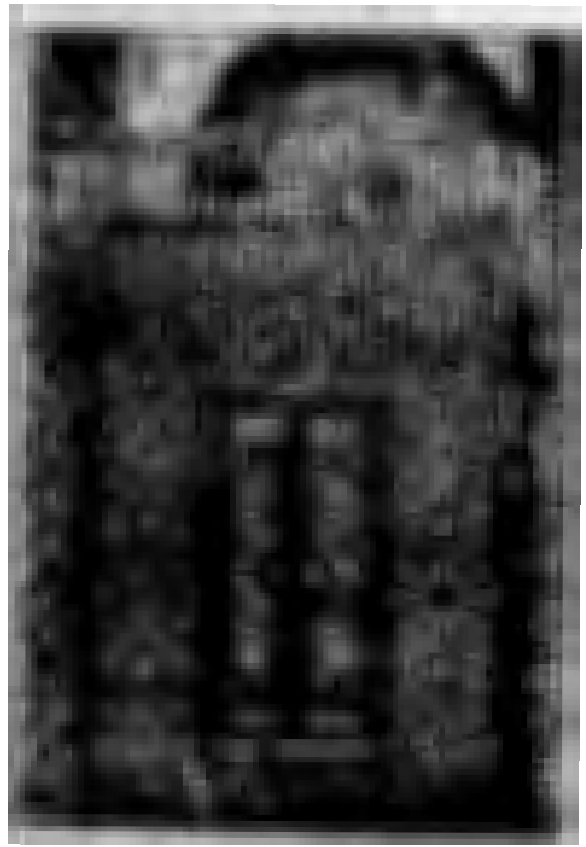

حجاب في كنيسة المطلة المشيدة على برج من ابراج بابيلون

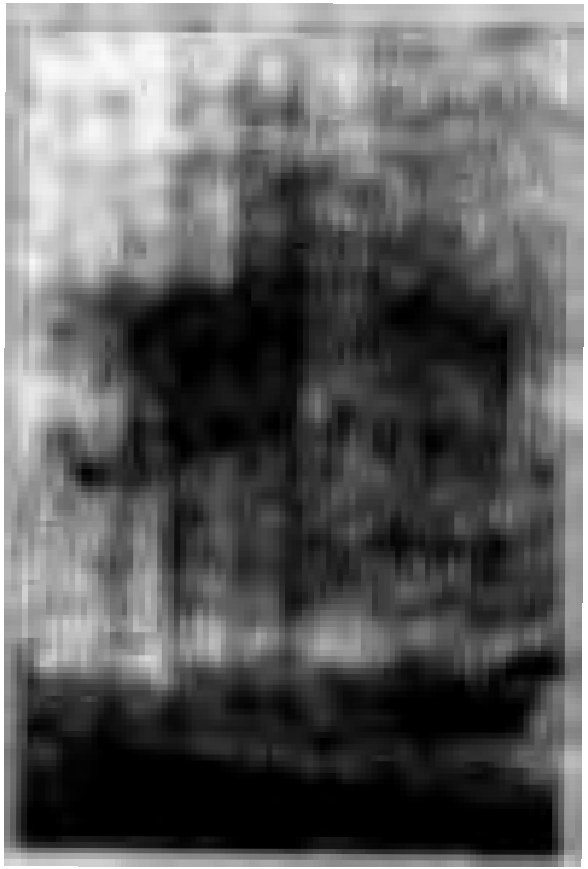

البرج الروماني وعليهِ كنيسة ماري جرجس للروم الارثوذكس

مقتطف فبراير ١٩٢٦

امام الصفحة ١٥٦